٤٢ ــ عدل

لم(١) يظهر إلى الآن من يذود عن وزارة المعارف ، أو يدفع ما قيل عن امتحان اللغة الإنجليزية لطلاب الكفاءة من أنه كان عسيرا مسرفا فى العسر ، أو سخيفا(٢) مغرقا فى السخف ، أو ممتازا بالعسر والسخف جميعا . بل لا تظهر صحف الصباح ، ولا تظهر صحف المساء إلا وفيها إنكار المنكرين ، وسخط الساخطين ، ونقد الناقدين ، واستهزاء المستهزئين أيضا . وقد سكت الطلاب وتكلم الأساتذة فأنت لا تكاد تقرأ فى الصحف شكاة يتقدم بها طالب أو استعطافا تتقدم به جماعة من الطلبة ، وإنما تقرأ أحاديث يلهج بها الأساتذة من الإنجليز والمصريين ، وأحاديث أخرى يلهج بها القادرون على نقد موضوعات الامتحان من غير رجال المعارف . وأولئك وهؤلاء متفقون على أن هذا الامتحان العسير أو السخيف ، أو العسير السخيف معاقد كان ظلما مرهقا ، فلا بد من رفعه أو إنقاذ الطلاب من شره . ولا بد بعد ذلك من اتخاذ الوسائل التى تكفل امتناع هذا الظلم ، وتحول دون وقوعه مرة أخرى .

---

(١) الكوكب فى ١١ ــ ٦ ــ ١٩٣٣ .

(٢) كان امتحان اللغة الإنجليزية فى شهادة الكفاءة وهى تعادل الإعدادية الآن فى منتهى الصعوبة حتى إن بعض التلاميذ قد أغمى عليه والبعض الآخر ترك الامتحان ، وتظاهر آخرون فى بعض اللجان وهمّ الآخرون بالثورة أمام الوزير

وكان الموضوع الأول فى الإنشاء : بعض النتائج المنتظرة لو منعت السيارات من المرور قانونيا .

قالت صحيفة الكوكب : وهو موضوع محلّى لا يستطيع الكتابة عنه إلا تلاميذ القاهرة والعواصم الكبرى التى تكثر فيها الحركة ، ويظهر فيها فضل السيارات وأثرها .

أما تلاميذ قنا وسوهاج مثلا فإنهم لا يستطيعون أن يكتبوا فيه .

والموضوع الثانى : الأصناف المختلفة من التلاميذ الذين يكرهون أصدقاءهم ، وقد ورد فى النص كلمة school mates ، وهى كلمة صعبة قل أن يصيب معناها تلميذ .

والخطاب : وجدت خاتما ذا قيمة ولاحظت أن مكافأة لمن يجد هذا الخاتم . اكتب خطابا تطلب فيه هذه المكافأة . =

ولكن كيف يرفع هذا الظلم ؟ بإحدى اثنتين : إما أن تمضى وزارة المعارف فى هذا الامتحان وتصحيحه كأن شيئا لم يكن ، وكأن ظلما لم يقع ، وإذن فسينال الطلاب ما يستحقون من الدرجات . وحينئذ فسترسب كثرتهم من غير شك ، وسيكون الظلم صارخا شنيعا . وإما أن تأمر وزارة المعارف لجان التصحيح بالرفق والرحمة والتجاوز للطلاب عن بعض الخطأ ، والتسامح معهم فى بعض الهفوات ، والنزول لهم عن بعض الدرجات ، وإذن فسينجح منهم فريق ويرسب فريق . فأما الناجحون فسينجحون بغير حق ، وسيفوزون فى غير استحقاق للفوز . وأما الراسبون فسيرسبون فى غير حق أيضا ، وسيخفقون فى غير استحقاق للإخفاق .

وما دام الامتحان قد كان قاسيا عسيرا سخيفا بالقياس إليهم جميعا فيجب أن ينجحوا جميعا بغير حق ، أو أن يرسبوا جميعا بغير حق . وكذلك نتيجة الأعمال التى لم تقم على إيثار العدل والمنفعة ، وتوخى القصد والإنصاف والصواب ، لا يمكن إلا أن تكون شرا كلها .

فالرحمة إذن لا تصلح علاجا لهذا الموقف المؤلم السخيف الذى تقفه وزارة المعارف اليوم من هؤلاء الطلاب البائسين . والرحمة إنما يفكر الناس فيها بعد أن يستنفدوا ما يجب من العدل . فأما قبل العدل فليس إلى التفكير فى الرحمة سبيل ، لأنها تصبح ظلما وجورا . ولست أدرى لم ينجح فلان ويرسب فلان إذا كان الامتحان عسيرا سخيفا بالنسبة إليها جميعا . ولست أدرى كيف ينجح الطلاب جميعا إذا كنا نريد أن يظفروا بشهاداتهم لأنهم استحقوها وكسبوها ، ولأنها لم تقدم إليهم هدية ولا هبة . ولست أدرى كيف يرسب الطلاب جميعا إذا كانوا جميعا قد اجتهدوا طوال العام ، وكانت كثرتهم خليقة بالنجاح لو أن الامتحان كان معقولا . فالعدل وحده إذن هو الذى ينقذ وزارة المعارف ويصلح

= وقد ورد فى النص كلمة reward ، وكلمة claiming وهما غريبتان عن كثير من التلاميذ .

أما القواعد فلم تكن الأسئلة واضحة ولا تدل الطالب على ما يقصد بها وهى غاية فى الصعوبة .

موقفها ، ويرد الطلاب إلى ما يجب لهم من الإنصاف . وهذا العدل كغيره من الفضائل ثقيل لا يحتمله إلا القادرون على أن يأخذوا أنفسهم بأداء الواجب ، واحتمال الأمانات على ثقلها ، وما تكلف من مشقة وجهد وعناء .

هذا العدل يقضى بإلغاء امتحان الإنجليزية لهؤلاء الطلاب ، وأخذهم بامتحان جديد ، توضع له أسئلة معقولة فى نفسها ، ملائمة لبرنامج الدراسة ملاءمة صحيحة لا غبار عليها . هذا العدل هو الذى يرد الأشياء إلى نصابها حقا فيمكن الطلاب الجادين من النجاح الذى يستحقونه ، ويرد الطلاب المقصرين إلى الإعادة التى لا بد لهم منها ، ويضمن للبلاد شبانا نجحوا فى الامتحان نجاحا صحيحا لا رحمة فيه ، ولا محاباة ولا عطف فيه ولا إحسان .

وأنا أعلم حق العلم أن وزارة المعارف ستضيق بهذا الاقتراح ، وستمنعها الكبرياء من أن تحفل به وتلتفت إليه ، ولكنى أعلم حق العلم أن هذا الاقتراح وحده هو الحل الصحيح الملائم للحق والعدل والمنفعة ، وأن حرص الوزارة على كبريائها لا ينبغى أن يكون أشد من حرصها على مستقبل هذا الجيل من الطلاب ، وعلى إنصاف المظلومين من هؤلاء الطلاب . ولا ينبغى بحال من الأحوال أن يضحى بالمصالح العامة فى سبيل هذه الأنفة الكاذبة . وهذه الكبرياء السخيفة التى تمنع الناس من أن يرجعوا إلى الحق إذا علموا أنهم مخطئون .

ومهما يكن من شىء فلا بد من تحقيق دقيق برىء من كل المؤثرات ليتبين الناس جلية الأمر فى هذا الامتحان . وهذا التحقيق لا تستطيع وزارة المعارف أن تجريه لأنها متهمة ، فهى التى وضعت الامتحان وراجعته وورطت الطلاب فيه . فلا بد أن تنهض به إذن لجنة بعيدة عن مكاتب الوزارة ، قوامها جماعة من رجال التعليم الذين يستطيعون أن يقضوا فى هذا الأمر دون أن يكون عليهم بأس من هؤلاء السادة المتسلطين فى ديوان الوزارة . وكل حل غير هذا معرض للشك والريبة ، ووسيلة إلى الظلم والطغيان .

هناك مسألة أخرى يجب(١) يجب أن تفكر فيها وزارة المعارف منذ الآن ،

---

(١) كان هذا مطلب طه حسين فى سنة ١٩٣٣ ومع أن عدد التلاميذ كان قليلا بالنسبة لما أصبح عليه سنة ١٩٥١ وقد كان هو وزيرا للمعارف إلا أنه لم ينفذ ما نادى به .

وهى مسألة العدول عن وحدة الامتحانات العامة بالقياس إلى مصر كلها . فمن السخف حقا أن توضع أسئلة فى أى علم من العلوم لتفرض على طلاب المدارس جميعا مهما تكن مدنهم وبيئاتهم ، لا لشىء إلا لأنهم طلاب التعليم الثانوى أو طلاب التعليم الإبتدائى . إنما سبيل المنفعة فى ذلك أن تؤلف لجان مختلفة ، لكل لجنة طائفة من المدارس تضع لها أسئلة الامتحان دون أن تلتزم هذه الوحدة التى تشبه التنظيم العسكرى له قيمته ، ولكنه أقل النظم ملاءمة لشئون التعليم والامتحان .

ولو أن وزارة المعارف لم تلتزم هذه الوحدة الغريبة ، ولم تفرض على الطلاب جميعا أسئلة بعينها ، لما كان هذا الظلم بأسئلة الكفاءة فى هذا العام شاملا ولا عاما ، بل لشكا منه فريق بعينه ، هو الذى يكون الله قد ابتلاه بمن وضع له هذا الامتحان السخيف ، ولكان غير هذا الفريق من الطلاب آمنا من هذا السخف ، هادئا لا يشكو ولا يستعطف . ولوجدت الوزارة نفسها أمام شر ضيق محصور .

فلتفكر الوزارة فى إصلاح هذا الشر الذى تورطت فيه هذا العام ، ولتصطنع فى ذلك كله شيئا من الجد والسرعة والحزم ، فذلك خير لها وللناس جميعا .